لمحات من الجهود الثقافيّة المبكّرة في الكويت

ارتبط اسمُ الكويت بالثقافة منذ العقود الأولى لنشأتها. فقد ذهبت المصادر إلى أنّ الكويت أُسِّست في العام ١٦١٣م[١]، على حين وصلتْنا عيِّنةٌ من المخطوطات التي نُسختْ في الكويت تعود إحداها إلى عام ١٦٨٢[٢]. وتهدف هذه الدراسة إلى عرض لمحات من الجهود الثقافيَّة المبكرة في الكويت حتى العقد الثالث من القرن العشرين؛ ذلك أنّ خطة الدراسة تقتضي التوقُّف عند حدود البواكير التي شكّلتِ الإرهاصاتِ المُنْبئةَ بنهضة ثقافيَّة. أما المراحل اللاحقة فهي معروفة للكافة، فضلاً عن توافر مصادر دراستها. وأمّا العلماء والأدباء الذين أقاموا في هذه المنطقة، أو مرّوا بها في حقب التاريخ العربيّ، فلن نَنْسبهم إلى الكويت، لأنّهم في الحقيقة ينتمون إلى الدولة العربيَّة الإسلاميَّة الواحدة وإنْ كانوا يتنقلُّون بين أقاليمها.

١ ـ عوامل الاهتمام المبكر بالثقافة

يعود السبب في الاهتمام المبكر بالثقافة في الكويت إلى عوامل عدَّة، لعلّ من أهمِّها: طبيعة السكّان، وطبيعة الموقع، والانفتاح على العالم الخارجيّ، وطبيعة النظام السياسيّ.

أ ـ طبيعة السكان. إنّ جماعات كبيرة من المهاجرين إلى الكويت لم يكونوا من البدو الرحّل، الذين شرَّدهم القحطُ، فجاؤوا إليها يلتمسون الكلأ أو المياهَ الجارية. بل الأرجح القول إنّ هؤلاء المهاجرين الأوائل وفدوا إلى المنطقة يَنْشدون فيها الأمانَ، وينأون بأنفسهم عن بؤر الصراع القبليّ والعرقيّ والطائفيّ في المناطق المجاورة. ثم إنّ الهجرات الكبيرة من داخل الجزيرة العربيَّة لم تكن قادمةً من الصحارى، بل من مدن وقرى معروفة مثل «الهدار»، التي جاءت منها واحدةٌ من الهجرات الكبيرة والمبكرة هي هجرة «العتوب». يقول الشيخ عبد اللّه بن خميس عن «الهدار» إنّها قامت على أنقاض حاضرة بني الحريش في المنطقة، ومن ضمن قصورها حصن «موسى بن نمير الحرشي» الذي يُسمَّى أيضاً باسم «صبحي»، جدٍّ شهير؛ ولعلّ «آل صباح» حكّام الكويت ينتسبون إلى هذا الجد، ومنه نزحوا إثر خلافات وفتن وقعتْ بينهم وبين بني عمهم[٣]. ثم إنّ العتوب توجَّهوا بادئ الأمر إلى الزبارة ـ قطر ـ «حيث أتقنوا فيها مهنة الملاحة والغوص على اللؤلؤ»[٤]، ومنها ارتحلوا إلى الكويت.

ولم تقتصر الهجرةُ إلى الكويت على القادمين من مدن الجزيرة العربيَّة، المعروفة بوفرة علمائها، بل اتّسعت حين عمَّ الاستقرار، فأصبحت المنطقةُ جاذبةً للمهاجرين من جزر الخليج العربيّ وإماراته العربيَّة على الساحليْن الشرقيّ والغربيّ، فضلاً عن المهاجرين من العراق وإيران لأسباب اقتصاديَّة واجتماعيَّة ودينيَّة. وكانت شرائح عديدة من المهاجرين إلى الكويت على دراية كبيرة بثقافة المرحلة، بشقَّيْها الدينيّ والدنيويّ. ومنهم أعداد من العلماء الذين جلبوا معهم مكتباتهم الخاصّة. وقد نتج عن هذا التنوُّع في الهجرات تنوُّعٌ ثقافيٌّ كانت له آثاره الإيجابيَّة.

ب ـ طبيعة الموقع. كانت الطبيعةُ القاسية للموقع، من جهة شحّ الموارد، سبباً في شحذ الهمم لمواجهة التحدِّي، والإصرار على خلق الظروف الملائمة للحياة الكريمة، من خلال الإبداع في أساليب العمل، وبخاصة في البحر، الذي كان المورِدَ الأساسَ للرزق. وهذا ما يفسِّر تفوُّقَ الكويتيِّين في صناعة سفن السفر الكبيرة العابرة للمحيطات، ونبوغَ العديد

١ ـ أنظرْ: محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان: **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين** ١/٧، ط ٢.

٢ ـ المخطوطة هي: **موطّا الإمام مالك**. وقد نسخها في جزيرة فيلكا الكويتيّة مسيعيد بن أحمد بن مساعد بن عبد اللّه بن سالم.

٣ ـ عبد اللّه بن خميس: **معجم اليمامة** ٢/٣٥٣ ـ ٣٥٤.

٤ ـ غيورغي بوندا ريفسكي: **الكويت وعلاقاتها الدوليّة خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين**، ص ٢٤.

من الربابنة في علوم الملاحة والفلك، وبراعتَهم في السفر إلى بقاع بعيدة للتجارة ونقل البضائع، وإتقانَ مهنة الغوص على اللؤلؤ، ومعرفةَ أماكن وجوده وأنواعه وأوزانه والأسواقِ الملائمةِ لتسويقه.

ويجدر أن نشير في هذا الصدد إلى توجُّه الكويتيِّين إلى فرنسا وإيطاليا منذ العام ١٩٢٣، للتعرُّف على أسواق اللؤلؤ، بغية تسويق بضاعتهم[١]. أما الهند فعلاقتهم التجاريَّة بها تعود إلى نشأة الكويت. كذلك توجَّه بعضُ الكويتيِّين إلى «سيلان» لممارسة مهنة الغوص على اللؤلؤ هناك بعد انتهاء موسم الغوص في الخليج العربيّ[٢].

ج ـ الانفتاح على العالم الخارجيّ. أفضى التنوُّع الثقافيّ من جهة، والاتصالُ بالعالم ـ من خلال رحلات السفر ـ من جهة أخرى، إلى خلق واقعٍ يتّسم بالانفتاح والتسامح وقبولِ الآخر، وينأى عن التزمُّت والغلوِّ وادِّعاءِ احتكار الحقيقة. ومن الملاحظ في هذا الصدد أنّ تيارات التزمُّت والغلوِّ تكون ـ في الغالب ـ خارجيَّةَ المصدر، تهبّ على الكويت بين الحين والآخر لتُجْهض تجربتها، فيواجهها الكويتيُّون بالرفض القاطع.

وتتّخذ مواجهة التجربة الكويتيَّة شكلَيْن؛ أحدهما حربيّ، والآخر فكريّ. وقد ابتدأت المواجهة الحربيَّة منذ نحو عام ١٧٩٣[٣]، أيْ خلال عهد الشيخ عبد اللّه بن صباح، وانتهَتْ بمعركة الجهراء في عام ١٩٢٠. على حين لا تزال المواجهةُ الفكريَّةُ قائمةً، منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا، مع تطوُّر أساليبها تبعاً لتطوُّر الزمن.

ومما يؤكِّد تلك الحقيقة طبيعةُ المطالب التي تقدَّم بها «الإخوان» الذين هاجموا الكويت في معركة الجهراء عام ١٩٢٠. فهم كانوا لا يقصدون السلبَ والنهبَ والاستيلاءَ على الأرض، بل يهدفون إلى إعادة الكويتيِّين إلى الإسلام، حسب مفهومهم للإسلام. يقول الشيخ عبد العزيز الرشيد، الذي شهد المعركة: «إنّ منديل بن غنيمان، النائب عن قائد الإخوان فيصل الدويش، قال للشيخ سالم إنّ الدويش يريد مسالمتكم، وهو يدعوكم إلى الإسلام، وتركِ المنكرات والدخان، وإلى تكفير الأتراك»[٤].

ويُفصح الشاعر «ابن عثيمين» ـ المعبِّر عن وجهة نظر الإخوان ـ عن قصدهم من مهاجمة الكويت، وأنّهم لم يأتوا للسلب والنهب، بل لإعادة الكويتيِّين إلى حظيرة «الإسلام»، فيقول:

سَلِّمْ على فيصل واذكرْ مآثرَهُ
وقلْ له هكذا فلتفعلِ النجبُ
أعني بهم **عصبةَ الإسلام** مَنْ سكنوا
مبايضاً ولحرب **المارق** انتُدِبوا
واذكرْ مآثرَ قومٍ جُلُّ قصدِهِمُ
جهادُ أهلِ الرِّدى للهِ لا **السلبُ**
هم أهلُ قرية إخوان لهم قَدَمٌ
في الصالحات التي تُرجى بها القربُ
صَبَّ الإلهُ على أهل الكويت بهم
سوطَ العذابِ الذي في طيِّه الغضبُ
ظلّت سباعُ الفلا تَفْري جماجمَهُم
كأنّها شاربٌ يهفو به الطربُ
هذا نكالُ إمام المسلمين بكم
فإنْ **رجعتم** وإلا استؤصل العقبُ[٥]

وقد واجه علماء الكويت وشعراؤها[٦] تيارات الغلو مواجهةً عنيفةً، ودافعوا عن حق بلادهم في مواكبة ركب التطوُّر. ولم يتخلَّف شعراءُ العاميَّة عن القيام بدورهم في هذا المجال[٧].

د ـ طبيعة النظام السياسيّ. ثمَّة عاملٌ سياسيّ تجدر الإشارةُ إليه لتأثيره في الواقع الثقافيّ، وهو أنّ نظام الحكم في الكويت يختلف عن الأنظمة الأخرى في المنطقة. فقد وفد الكويتيُّون إلى أرضٍ بكرٍ فعمَّروها، لم يكن بينهم آنذاك حاكمٌ ومحكومٌ، واختاروا لأنفسهم نظامَ الحكم الملائم، القائم على الشورى... خلافاً لحال البلدان الأخرى، حيث تغلَّب بعضُ القادة على مَنْ سبقوهم في الحكم، وحلُّوا محلَّهم، فأصبح لهم الفضلُ في تأسيس كيانات سياسيَّة جديدة، الأمر الذي يجيز لهم ـ كما يعتقدون ـ تحديدَ طبيعة النظام السياسيّ الذي يرونه ملائماً لطبيعة بلدانهم وظروفها.

---

١ ـ سيف مرزوق الشملان: **تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي**، ٢/٢٦٥ ـ ٢٩٩.

٢ ـ المصدر نفسه ٢/٨٧ ـ ٩٢.

٣ ـ د. أحمد مصطفى أبو حاكمة: **تاريخ الكويت**، ج ١، ق ١، ص ٢٤٠.

٤ ـ عبد العزيز الرشيد: **تاريخ الكويت** ص ٢١٩.

٥ ـ المصدر السابق ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

٦ ـ من أشهر شعراء الفصحى الروّاد الذين تصدُّوا لدعاة الغلو والتزمُّت عبد اللطيف إبراهيم النصف، وسيد مساعد الرفاعي، وأحمد البشر الرومي، وعبد العزيز الرشيد، وصقر الشبيب.

٧ ـ من أقدم شعراء العاميَّة الذين استهجنوا الغلوّ الربانُ الشهير عيسى القطامي. أما الشعراء الذين تناولوا «معركة الجهراء»، وجلُّهم من أهل الجهراء، فقد أطْلقوا على «الإخوان» المهاجمين لقبَ «الخوارج»، لأنّهم كالخوارج يُسْرفون في تكفير الآخرين.

وقد تكلّم كثير من الرحالة والكتّاب الأجانب عن حب الكويتيّين للحريّة[1]، وعن طبيعة نظامهم القائم على الشورى. حتى إنّ إحدى الخرائط القديمة، التي نشرها الكسندر جونستون (١٨٠٣ ـ ١٨٧١) حملت اسم «جمهوريّة الكويت»، اعتقاداً ممّن أعدّها بأنّ النظام السياسيّ في الكويت جمهوريّ، بسبب اشتراك المواطنين في اختيار حكّامهم[2] والتزامِهم التشاورَ معهم في إدارة البلاد. ولعلّ في ذلك ما يفسّر مطالبةَ الكويتيّين بإقامة مجلسٍ للشورى مكوّنٍ من ستة أشخاص، في فترةٍ مبكرةٍ نسبيّاً تعود إلى أواخر عهد الشيخ سالم المبارك[3] المتوفّى في العام ١٩٢١، ثم تقديمَهم عريضةً لخلفه الشيخ أحمد الجابر تؤكّد المطالبة بتكوين مجلس للشورى، واستجابتَه لطلبهم، وإقامةَ المجلس في العام ١٩٢١.

وممّا يدلّ على تطوُّر الفكر السياسيّ في الكويت خلال مرحلةٍ تُعَدُّ مبكرةً ما نصّ عليه دستورُ الكويت، الذي أصدره مجلسُ الأمّة التشريعيّ المنتخب في العام ١٩٣٨، إذ تقول المادةُ الأولى منه: «الأمّة مصدر السلطات، ممثّلةً في هيئة نوابها المنتَخَبين»[4].

وهذا التطوُّر لم يأتِ من فراغ. فقد كشفت الاتّجاهاتُ السياسيّة لأعضاء «النادي الأدبيّ» في العشرينيّات عن مواكبة حيّة للتيارات السياسيّة السائدة في المنطقة العربيّة آنذاك[5]، وطموح إلى تحقيق المزيد من الإنجازات على طريق الديموقراطيّة. ولعلّ في مذكّرات خالد سليمان العدساني[6]، وكتابِه عن تجربة المجلس التشريعيّ، ما يؤكّد تلك الحقيقة. أما الشعر الكويتيّ فيُعدّ سجلاً صادقاً يكشف عن درجة الوعي السياسيّ الذي بلغه الكويتيّون في العقود الأولى للقرن العشرين[7].

وبعد، فلمّا كان الكِتابُ هو الوعاء الأساس للمعرفة، فسوف نبدأ بالتعريف الموجز بالجهود الأولى للكويتيّين في مجال الكتابة ـ سواء من جهة نَسْخ المخطوطات أو التأليف. وحيث إنّ للكويتيّين تجربةً مبكرةً في إصدار الصحف الجادة، وإقامةِ المؤسسات الثقافيّة الأهليّة، فسوف نشير بإيجاز إلى تلك التجربة.

٢ ـ الكِتاب

من الملاحظ أن المصنّفات التي نُسخت في الكويت، أو أُلّفتْ فيها في مراحل مبكّرة، تنتسب ـ في الغالب ـ إلى فرعَيْن أساسيَيْن من فروع المعرفة، وهما: علوم الدِّين وعلوم الملاحة البحريّة. وهذه الحقيقة تترجِم حاجةَ المواطنين إلى معرفة شؤون دنياهم ومعاشهم بصورة علميّة بقدر حاجتهم إلى معرفة شؤون دينهم. فقد كان البحر مصدرَ الرزق، وميدانَ العمل الأساس، ولا بدّ من ارتياده في رحلات السفر، التي تَمْخر عباب المحيط الهنديّ متّجهةً إلى الهند وشرق آسيا تارةً، وإلى شرق افريقيا تارةً أخرى. ولذلك كانت الحاجةُ ملحّةً إلى معرفة الطرق الملاحيّة، فضلاً عن معرفةِ ما يتّصل باللؤلؤ وأصنافه وأوزانه ومواقع وجوده للمشتغلين في مهنة الغوص وتجارة اللؤلؤ.

أ ـ نَسْخ المخطوطات. اهتمّ علماءُ الكويت الأوائل بنَسْخ بعضِ الأصول التراثيّة، والفقهيّة منها بخاصة. وقد وصلتنا أعدادٌ كبيرة من المخطوطات التي نسخها هؤلاء العلماء[8]، من أهمّها وأقدمِها ما يلي: **موطّأ الإمام مالك**، قام بنسخ المخطوطة مسيعيد بن أحمد بن مساعد بن سالم من سكان جزيرة فيلكا الكويتيّة عام ١٦٨٢[9]... و**الفتح المبين في شرح الأربعين**، لابن حجر الهيتمي، قام بنسخها محمد بن عبد الرحمن العدساني في العام ١٧٢٤[10]... و**التيسير على مذهب الشافعي**، نظم العمريطي، وقام بنسخها عثمان بن علي بن محمد بن سري القناعي في العام ١٧٩٨م[11]... و**المنهاج في فقه الإمام الشافعيّ**، للشيخ محيي الدين بن شرف النووي، قام بنسخها إسحق بن

---

١ ـ ابو حاكمة: **تاريخ الكويت**، ج ١، ق ١، ص ٢٣٨، إذ ينقل عن كتاب «باكنغهام» في عام ١٨١٦ قوله «ويبدو أنّها [أي الكويت] كانت دائماً قد احتفظتْ باستقلالها أيضاً... ولا يزال أهلوها يُعرفون بين أهل الخليج بأنّهم أكثرهم حريّة وشجاعة».

٢ ـ أنظر: **الكويت... قراءة في الخرائط التاريخيّة**، ص ٣٤ ـ ٣٥.

٣ ـ د. بدر الدين الخصوصي: **معركة الجهراء، دراسة وثائقيّة**، ص ١٣١، ٢١٩.

٤ ـ خالد سليمان العدساني: **نصف عام للحكم النيابيّ في الكويت**، ص ١١.

٥ ـ د. محمد حسن عبدالله: **الحركة الأدبيّة والفكريّة في الكويت** ص ٣٠ ـ ٣١.

٦ ـ لا تزال مذكرات خالد العدساني عن تجربة مجلس الأمّة التشريعيّ مخطوطة. ويكاد كتابه **نصف عام للحكم النيابيّ في الكويت** أن يكون خلاصةً للمذكّرات.

٧ ـ خليفة الوقيان: **القضية العربيّة في الشعر الكويتيّ**، الفصل الثاني.

٨ ـ تضم مكتبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة أكبر مجموعة من المخطوطات التي نسخها علماءُ الكويت. وجاء معظمُها إهداءً من ورثة عالم الكويت الجليل الشيخ عبدالله الخلف الدّحيان.

٩ ـ المخطوطة من مقتنيات المرحوم الأستاذ عبد العزيز حسين، أحد أبرز أعلام الثقافة في الكويت. وقد أشار إلى هذه المخطوطة للمرّة الأولى الباحثُ الأستاذ خالد سالم محمد في كتابه: **جزيرة فيلكا ـ صفحات من الماضي**، الصادر في عام ١٩٨٧.

١٠ ـ مكتبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة.

١١ ـ عبد الله الحاتم: **من هنا بدأت الكويت**، ص ٤١، ط ١.

واجه علماءُ الكويت وشعراؤها تياراتِ الغلوّ والتزمُّت الدينيِّ مواجهة عنيفة

إبراهيم بن عبدالله في العام ١٨٤٤[١]... **وديوان المتنبِّي**، قام بنسخه الشيخ محمد بن عبدالله بن فارس في العام ١٨٤٥[٢]... **ومروج الذهب ومعادن الجوهر**، للمسعودي، قام بنسخ المخطوطة عبد اللّطيف بن عبد الرّحمن المطوع التميميّ الحنبليّ في العام ١٨٤٦[٣]... **وشرح الرحبية في علم الفرائض**، لابن حجر الهيتمي المكيّ، قام بنسخها الشيخ حمد بن عبد الله بن فارس في العام ١٨٥٤[٤]...

ويبقى من بعدُ عالِمُ الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان. فقد كانت له جهودٌ كبيرة في نسخ المخطوطات والتعليق عليها[٥]، فضلاً عن جهوده في اقتناء الكثير من المخطوطات التي نُسختْ في الكويت. وقد أهداها ورثتُه إلى مكتبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة.

ب ـ التأليف. وفي ما يتعلّق بالمصنّفات التي كتبها العلماء والكتّاب الكويتيُّون في مراحل مبكرة، نشير فيما يلي إلى طائفة منها:

١ ـ النظم العشماويّة. وهي منظومة في الفقه المالكيّ للشيخ عثمان بن سند. ومن المرجَّح أن يكون قد أُلِّف هذا الكتاب قبل عام ١٨٠٥. والمعروف أنّ عثمان بن سند وُلد في جزيرة فيلكا الكويتيّة في العام ١٧٦٦، وبقي في الكويت أربعين عاماً، ثم انتقل إلى العراق حيث قضى السنوات العشرين الباقية من عمره، قبل أن يتوفّاه الله في العام ١٨٢٦.

٢ ـ معرفة حساب أوزان اللؤلؤ. ألّفه عبد اللّطيف بن عبد الرزّاق بن عبد اللّطيف آل عبد الرزّاق، وهو من أسرة اشتُهر عدد من أفرادها بتجارة اللؤلؤ. وطُبع في بومبي عام ١٩١١. والكتاب يُعنى بالتعريف بكيفيّة حساب أوزان اللؤلؤ، أو كما يقول مؤلِّفه «وبعده، لمّا رأينا الحاجة لمعرفة حساب 'الچو' من اللوازم الضروريّة، ولاسيّما لدى أرباب اللؤلؤ، شمَّرنا عن ساعد الجدّ والاجتهاد... لوضع هذا الكتاب النفيس الحاوي لحساب الچو»[٦]. و«الچو» تسمية لمقياس وزن اللؤلؤ.

٣ ـ رسالة تسهيل التجويد للقرآن المجيد. من تأليف السيد عمر عاصم. وقد طُبع الكتاب في المطبعة المصطفويّة في پومبي سنة ١٩١٥، وكان طبعه على نفقة التاجر الكويتيّ «جاسم محمد بودي». وكُتبتْ على غلافه جملةٌ تفيد بأنّه «وقفٌ لا يباع ولا يشترى»[٧].

٤ ـ ديوان عبد الله الفرج. ويضمّ هذا الديوان شعر عبدالله الفرج[٨] المكتوب باللّهجة العاميّة فحسب. وقد أَشْرف على جمعه ونشره الشاعر خالد الفرج. وطُبع للمرّة الأولى في الهند عام ١٩١٩.

٥ ـ دليل المحتار في علم البحار.

٦ ـ المختصر الخاصّ للمسافر والغواص والطواش.

٧ ـ الخالص من كل عيب لوضع الجيب. يجمع بين هذه الكتب الثلاثة الأخيرة كونُها تَهمّ العاملين في مجال الملاحة والغوص وتجارة اللؤلؤ، وهي من تأليف الربّان الشهير عيسى القطامي. وقد طُبع الأول والثاني في بغداد عام ١٩٢٤؛ على حين لا تحمل النسخة التي اطلعتُ عليها من الكتاب الثالث بياناتٍ عن جهة الطبع، وإنْ ذُكِرَ تاريخُه، وهو ١٩٢٤[٩].

يقول المؤلِّف في مقدِّمة كتابه **دليل المحتار في علم البحار**: «وهو جامع لأسماء البلاد بقدر حاجة إخواننا العرب

---

١ ـ **من هنا بدأت الكويت**، ص ٤٢.

٢ ـ مكتبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة.

٣ ـ مكتبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة. وللشيخ عبد اللّطيف بن عبد الرحمن المطوع جهودٌ أخرى، فقد قام بنسخ **نيل المآرب شرح دليل الطالب** في عام ١٨٧٩.

٤ ـ مكتبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة.

٥ ـ انظرْ: محمد بن ناصر العجمي: **علاّمة الكويت الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان**، ص ٨١ ـ ٨٢، **وروضة الأفراح**، ص ٧٤ ـ ٧٥.

٦ ـ انظرْ: سيف مرزوق الشملان: **تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي** ٢٩٢/١ ـ ٢٩٤. ود. عبد الله يوسف الغنيم: **كتاب اللؤلؤ**، ص ٢٢٢.

٧ ـ اطّلعتُ على الكتاب في مكتبة الأستاذ عادل محمد العبد المغني الخاصة. وكان السيد عمر عاصم مديراً للمدرسة المباركيّة في الكويت.

٨ ـ عبد الله الفرج: من أشهر شعراء العاميّة في الكويت. وله شعر فصيح لم يُجمع، فضلاً عن شهرته الواسعة في مجال الموسيقى على مستوى الخليج العربيّ، وله إضافاتُه الهامّة في الفن المعروف بـ «الصوت». انظرْ: خالد سعود الزيد: **أدباء الكويت في قرنين** ٦٢/١ ـ ٦٤. وانظرْ أيضاً: د. يوسف فرحان دوخي: **الأغاني الكويتيّة**، ص ٤٦ ـ ٤٨.

٩ ـ ذكر الأستاذ سيف مرزوق الشملان أنّ الكتاب طُبع في بومبي. انظرْ: **تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربيّ**، ٢٩٢/١. وذكر د. عبد الله يوسف الغنيم أنّ الكتاب طُبع بمطبعة السلام ببغداد؛ انظرْ: كتاب **اللؤلؤ**، ص ٢٢٢.

أهلِ السفن. وابتديتُ به من البصرة المباركة وساحلِ فارس وبر مكران، إلى الهند ومليبار وما يليها، إلى سيلان وأطرافِ مدارس وكلكتا وجاوه وجزر البالات وديبا محل من جهة الشرق. وألحقتُه في بر الغرب من البصرة وساحل الكويت والبحرين وقطر وعمان واليمن والحجاز مع برّ الحبش والصومال والسواحل وزنجبار وما يليها من بوكين وجزائر قمر وسيشل، مرتِّباً كلَّ بلد لحاله في عرضٍ وطولٍ...»[1].

ويقول في التعريف بكتابه **المختصر الخاص للمسافر والغوّاص والطوّاش**[2]: «فقد طَلَبَ مني بعضُ الأصحاب والإخوان أن أجمع مجاري الخليج من الكويت ـ وطني المحبوب ـ إلى بوغاز هرموز، مبيِّناً جميعَ البلاد والجزر وعمقَ البحار ومعرفةَ المسافة بين البرَيْن والجزيرتَيْن والهيرين[3] والراسين بحساب الأميال البحريَّة المتداولة عند سالكي البحار مع بعض علائم قعر البحار من الأرض، حيث لأرض البحار علاماتٌ من طين وقوع ورملٍ وفشت مع مجاري العبرات بين البريْن ـ برِّ فارس وبرِّ العدان ـ والبحرين...»[4].

أما الكتاب الثالث، وهو **الخالص من كل عيب لوضع الجيب**، فقد خصَّصه مؤلِّفُه للحديث عن أوزان اللؤلؤ، وجَعَله في حجم صغير يَصلُح للوضع في الجيب. ومن المعروف أنّ اللؤلؤ كان من أهمّ مصادر الرزق عند الكويتيِّين، سواء منهم مَنْ يشتغلون في الغوص عليه أو مَنْ يتاجرون به.

٨ ـ **تاريخ الكويت**. ألَّفه الشيخ عبد العزيز الرشيد[5]، وطُبع في بغداد عام ١٩٢٦. وهذا الكتاب بالغ الأهميَّة. إذ إنَّه تجاوز العرضَ التقليديَّ للأحداث السياسيَّة، ورَصَدَ الحياةَ الثقافيَّة، والظواهرَ الاجتماعيَّة، والتياراتِ الفكريَّةَ السائدة في عصره. فاستُقْبل بترحابٍ وتقديرٍ كبيرَيْن على المستويَيْن المحليّ والعربيّ. أما المتزمِّتون في الكويت ـ وهم قلَّة ـ فكان وقعُه عليهم شديداً، الأمر الذي دفعهم إلى الطلب من حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر «أن يُنْزل بالشيخ عبد العزيز الرشيد أقسى العقاب، ومن دون محاكمة. كما صرَّح بعضُهم بأنَّه إذا لم يستجب الشيخ أحمد إلى مطالبهم فإنَّهم سوف يستعملون قوتهم الماديَّة، وحَوْلهم الذي لا يُغلب، للاقتصاص وأخذِ الثأر»[6].

ولم يقف اهتمامُ الكويتيِّين بالكِتاب عند حدود نَسْخ المخطوطات أو التأليف، فقد قام كثير من الرجال والنساء بتحمُّل نفقات طبع بعض الكتب، والدينيَّة منها بخاصة، وجعلِها وقفاً ينتفع به القرّاءُ بلا ثمن. ومن أوائل الذين قاموا بطبع الكتب على نفقتهم الخاصّة الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم، الذي تكفَّل بطبع كتاب **نيل المآرب بشرح دليل الطالب** للشيخ عبد القادر الشيباني، وكان ذلك في العام ١٨٧١. وقد جاء في ختام ذلك الكتاب أنَّه «تمّ بعون ربّ المشارق والمغارب طبعُ كتاب **نيل المآرب**... على ذمّة الكامل الفاضل المجَّد حضرةِ الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم من أهالي الكويت، من أعماله الخيِّرة...»[7].

٣ ـ الصحافة

أدركَ روّادُ العمل الثقافيّ المستنيرون الأهميةَ البالغةَ للصحافة، والدورَ الذي يمكن أن تؤدِّيه في حمل رسالة الإصلاح، والوصولِ إلى القاعدة الجماهيريَّة الواسعة، التي قد لا تصل إليها الرسالةُ التي يَحْملها الكِتابُ على الرغم من أهميّته.

وكان الكويتيُّون على صلّة بالصحافة العربيَّة. فقد اشترك «آل خالد» بعدد من الصحف المصريَّة والعراقيَّة، ومكّنوا القرّاءَ من الاطّلاع عليها منذ بداية القرن العشرين. كما نَشَرَ الكتّاب الكويتيُّون كتاباتهم في الصحف المصريَّة والعراقيَّة بخاصّة منذ ذلك الحين. غير أنّ النخبة الواعية كانت تَحْلم بإصدار مجلة كويتيّة تحتضن الكوكبةَ المستنيرةَ من العلماء والشعراء والكتّاب الطامحين إلى النهوض بمجتمعهم، فضلاً عن تحقيق التواصل مع علماء العصر المستنيرين في الأقطار العربيَّة الناهضة من جهة... والتصدِّي لقوى التزمُّت والغلوّ، التي تسعى إلى عرقلة مسيرة التطوُّر من جهة أخرى. وقد تحقَّق حلمُ الكويتيِّين بإصدار مجلةٍ تَحْمل طموحاتهم، حين تمكّن الشيخ عبد العزيز الرشيد من إصدار مجلّته الشهيرة **الكويت** في العام ١٩٢٨.

لم يكن الطريق ممهَّداً أمام تلك التجربة الرائدة؛ فالمتزمِّتون لا يجيزون قراءة الصحف، فكيف يقبلون بصدورها من الكويت!. وينبِّه د. يعقوب الحجّي إلى أنَّ الشيخ عبد العزيز

---

١ ـ عيسى القطامي: **دليل المحتار في علم البحار**، ص ١٥ ـ ١٦، ط ٣.

٢ ـ الطوّاش: هو تاجر اللؤلؤ. وتأتي حاجة الطوّاشين، تجّار اللؤلؤ، إلى معرفة مجاري الخليج لكونهم يتّجهون بسفنهم إلى أماكن الغوص لشراء اللؤلؤ من المشتغلين في سفن الغوص، وبيعهم المؤنَ التي يحتاجون إليها.

٣ ـ الهير، وجمعه هيرات: الأماكن ـ المغاصات ـ التي يبحث فيها الغوّاصون عن اللؤلؤ في أعماق البحار.

٤ ـ عيسى القطامي: **المختصر الخاصّ للمسافر والطوّاش والغواص**، ص ٦، ط ٢.

٥ ـ الشيخ عبد العزيز الرشيد هو مؤرِّخ الكويت الأول، ورائد الصحافة فيها، وهو شاعر وخطيب. ومن مؤلَّفاته السابقة لِـ **تاريخ الكويت**: **«رسالة» تحذير المسلمين عن اتّباع غير سبيل المؤمنين**، طُبع في عام ١٩١١.

٦ ـ د. يعقوب يوسف الحجي: **الشيخ عبد العزيز الرشيد، سيرة حياته**، ص ١٤٢.

٧ ـ أنظرْ: الشيخ عبد القادر الشيباني: **نيل المآرب بشرح دليل الطالب**، ج ٢، ص ١٦٥، مصوّرة عن طبعة المطبعة المصريَّة ببولاق، مطابع مؤسّسة فهد المرزوق الصحافيّة، الكويت.

الرشيد لم يَذْكر اسم المطبعة التي تُطبع فيها مجلّته، ثم يشير إلى أنّ صاحب مجلة **الحديث** كتب رسالةَ تقريظٍ للشيخ عبد العزيز يُبدي فيها إعجابَه بالمجلّة، ويَذْكر ما يظنّه سبباً في إغفال اسم المطبعة. وقد ردّ عليه بقوله: «لنا كلمةٌ حول جواب هذا الفاضل في ملاحظته على المطبعة، وعلى النهضة في الكويت وغيرها، لا يَسْمح لنا الوقتُ بها الآن، لأمورٍ لو عرف كنهَها لَعَذَرَنا». ويعلّق د. يعقوب على هذه الكلمة بقوله: «هنا يبدو احتمالُ وقوف الشيخ العلجي وأنصاره ضد المطبعة والصحف ونهضةِ الكويت الصحافيّة قائماً. وهذا ما أَجْبَر الشيخَ عبد العزيز على عدم الخوض في الموضوع»[1]. ومن المعروف أنّ الشيخ عبد العزيز العلجي الاحسائيّ كان من أشدّ عناصر التزمُّت محاربةً للتطوُّر والتمدُّن. وقد واجهه كثيرٌ من أدباء الكويت وعلمائها، ومنهم: الشيخ عبد العزيز الرشيد، والشاعر صقر الشبيب، والسيد مساعد الرفاعي...

وعلى الرُّغم من كلّ المعوِّقات فقد شقّ الشيخ عبد العزيز الرشيد طريقَه، وأصدر مجلّته الأولى، التي استقطبت الكثيرين من أعلام العصر في الدول العربيّة فضلاً عن العلماء والأدباء من الكويت وأقطار الجزيرة والخليج العربيّ.

وأراد الشيخ عبد العزيز لمجلّته أن تكون غنيةً في المادة التي تقدِّمها للقرّاء، فهو يعرّفها بأنّها مجلّة دينيّة تاريخيّة أدبيّة أخلاقيّة. أما أبوابها فتضمّ الدين، الأخلاق، الأدب، التاريخ، التراجم، اللُّغة... كذلك أراد للمجلّة أن تؤدّي دوراً إصلاحيّاً في بلادٍ كانت تعاني تعنُّتَ المتزمتين وأنصار الخرافة. وكان يدرك أنّ الخلاف حول بعض القضايا التي يعالجها قد حُسم في الأقطار العربيّة الأكثر تقدُّماً، ولذلك نجده يعتذر عن اضطراره إلى جلب الأدلة على نظريّاتٍ يَعُدّ غيرُ الكويتيّين التدليلَ عليها عبثاً واشتغالاً من دون جدوى: كحركةِ الأرض، وكرويتها، وتعلُّم اللُّغات الأجنبيّة، وأنّ المطر بخارٌ يتصاعد من الأرض، إضافةً إلى البحث في الفنون الجميلة، والثقافة الغربيّة التي تلائم أخلاقنا[2]. وهو يَعْلم صعوبةَ المهمّة التي يَنْهض بها، وأنّه ليس من اليسير مواجهةُ غير الواعين من قومه في الكويت والخليج بالحقائق العلميّة إنْ لم تكن مدعّمةً بالأدلة التي تنفي عنها الشبهات. لذلك نراه يدعم رأيه حول المطر بما قاله شيخُ الإسلام «ابن تيميّة»، كما يستشهد بأقوال الإمام الغزالي لتوكيد كروية الأرض.

ولعلّ هذا العرض الموجز عن مجلة **الكويت** يعطي تصوُّراً عن المعنى الذي يمثّله صدورُها، من جهة إيجاد منبرٍ متينِ الأساس يزوِّد القرّاء بجرعات فكريّة وثقافيّة رفيعة المستوى، ويدافع عن العقيدة الصحيحة، ويؤكّد في الوقت نفسه عدمَ تعارض الدينِ مع كل جديد، ويشدِّد على أهميّة الأخذ بأسباب العلم.

وإذا ما وضعنا في الاعتبار أن المجلة صدرتْ في فترة مبكرة نسبيّاً ـ العام ١٩٢٨ ـ وأنّها وُجِدَتْ في بيئةٍ كان للمتزمّتين والغلاة فيها قدرٌ من السلطان، فسوف يتبيّن لنا أنّ صدورها كان حدثاً بالغ الأهميّة. ومن الطبيعيّ أن يكون لها دور في هزّ واقع الركود، وزعزعةِ ركائز التخلُّف، وشحذِ الهمم للسير على طريق التطوُّر.

٤ ـ المؤسَّسات الثقافيّة الأهلية

أدرك الكويتيُّون منذ فترة مبكرة أهميّة العمل المؤسسيّ الأهليّ في مجال الخدمات الثقافيّة والاجتماعيّة. ففي العام ١٩١١ تحقّق حلمهم بتأسيس أول مدرسة نظاميّة هي المدرسة المباركيّة، نتيجةً للجهود التي بذلوها في التبشير بالفكرة، وجمع التبرُّعات لتحقيقها. ويبدو أنّ النجاح في إقامة المدرسة النظاميّة كان حافزاً للنخبة الواعية للتفكير في إنشاء المزيد من المؤسسات الثقافيّة والاجتماعيّة الأهليّة.

أ ـ الجمعية الخيريّة. افتُتِحتِ الجمعيةُ الخيريّة في العام ١٩١٣، ويعود الفضلُ الأول في إنشائها إلى الشاب فرحان بن فهد الخالد[3]. وقد حدّدت الجمعيةُ لنفسها أهدافاً ثقافيّة واجتماعيّة عديدة، منها:

١ ـ إرسالُ طلاب العلوم الدينيّة إلى الجامعات الإسلاميّة في البلاد العربيّة الراقية كمصر وبيروت ودمشق وغيرها من أمهات المدن العربيّة، وبذلُ ما يقتضي لهم من مصاريف.

٢ ـ جلبُ محدِّثٍ فاضلٍ يعظ الناسَ، ويُرشدهم إلى الصراط المستقيم.

٣ ـ جلبُ طبيبٍ وصيدليٍّ مسلمَيْن حاذقَيْن لمداواة الفقراء والمساكين، وإعطائهم العلاجات المقتضية لذلك مجاناً.

٤ ـ توزيعُ الماء الذي هو من أهمّ حاجات بلدتنا[4].

وقد حقّقت الجمعيةُ الخيريّة الكثيرَ من أهدافها، فأنشأتْ مستوصفاً صغيراً لعلاج المواطنين مجاناً، وأحضرتْ طبيباً وصيدليّاً، وأقامت مكتبةً زودَتْها بالكتب والصحف. ودعت الشيخ محمد الشنقيطي للوعظ والإرشاد، فكان يُلقي الأحاديث الدينيّة في المساجد والجوامع، ويحثّ الناسَ على

---

١ ـ **الشيخ عبد العزيز الرشيد، سيرة حياته**، ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

٢ ـ انظر: **الشيخ عبد العزيز الرشيد، سيرة حياته**، ص ١٤٤. عبد الفتّاح مليجي: **الصحافة وروّادها في الكويت** ص ٦٠ ـ ٦١.

٣ ـ كان اثنان من أسرة «الخالد» قد أسهما في إنشاء المدرسة المباركيّة، حين تبرعا ببيتين للمدرسة، وهما الحاج حمد الخالد والسيّدة سبيكة الخالد. انظر: **أعلام الكويت**، فرحان فهد الخالد، ص ٩٥.

٤ ـ انظر: **تاريخ الكويت**، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤. الشيخ عبد الله آل نوري: **قصة التعليم في الكويت في نصف قرن**، ص ٥٨.

العلم والأخذ بأسباب الحضارة[1]، ولبث مدّةً يبثّ أفكاره السديدة في الجمعية تارة، وفي المساجد أخرى[2]. كما جمعت الجمعيةُ الكتبَ من الأهالي وحفظتْها في مقرّها، واشتركتْ في بعض الصحف، وافتتحتْ صفاً لتعليم الأميِّين القراءةَ والكتابةَ، وقامت بجلب الماء من شطّ العرب بواسطة سفينة شراعيَّة وتوزيعه مجاناً على الفقراء والمساكين... فضلاً عن تجهيز الموتى، والأخذ بيد الضعيف[3]. وهناك مَنْ يرى أنَّها كانت تهدف إلى «مقاومة الحركة التبشيريَّة في الكويت وبلاد الخليج»[4].

ولم تقف الجمعيةُ الخيريَّة عند حدود الخدمات الثقافيَّة والتعليميَّة والاجتماعيَّة، بل تجاوزَتْها إلى العمل السياسيّ. ذلك أنَّ عناصر الجمعيَّة كانوا ممّن يميلون نحو الدولة العثمانيَّة، الأمر الذي لم يكن يتّفق مع سياسة الشيخ مبارك الصباح، فكانت النتيجة القضاء على تلك التجربة الرائدة.

ب ـ المكتبة الأهليَّة. كان إغلاق الجمعيَّة الخيريَّة خسارة كبيرة للكويت. ولكنّ المستنيرين والمخْلصين من أبناء البلاد لم يتوقَّفوا عن بذل الجهود من أجل الاستمرار في إنشاء المؤسسات الأهليَّة ذات الأهداف العلميَّة والثقافيَّة والاجتماعيَّة. وقد اتّجهوا هذه المرّة إلى العمل لإقامة مكتبة أهليَّة عامّة...

وفي عام ١٩٢٣ فتحت المكتبةُ أبوابَها، وانهالت عليها التبرُّعات من أموال وكتب. واشتُرِك لها بعدّة صحف أهمُّها: **البلاغ** و**الأهرام** و**المقطم**، و**القبس** السوريَّة. وقد انتقلت المكتبةُ من مكان إلى آخر، ثم تألَّفتْ لجنةٌ من أعيان البلاد لتحسين وضعها، فقرَّرت اللَّجنةُ إقامةَ مبنى مستقلّ للمكتبة، وعندئذ تبرعت السيدة شاهة الصقر للمشروع بدكان كانت تملكه. وأضافت إليه اللَّجنةُ دكاكينَ استأجرتْها من أصحابها لمدّة طويلة[5].

ولم تكن المكتبة الأهليَّة مجرَّد مكان لحفظ الكتب، يرتادها الراغبون في القراءة، ولكنَّها كانت أيضاً «ملتقى للأدباء بشكل عام. وتدور بينهم أحاديث متنوِّعة في الفقه والأدب والسياسة»[6]. ويمكن أن نستخلص من تجربة إنشاء المكتبة الأهليَّة مؤشِّراتٍ عدةً منها:

١ ـ أنّ التفكير في إنشاء المكتبات العامّة جاء مبكّراً. فالمكتبة الأهليَّة لم تكن أول مكتبة في الكويت، بل سبقتها مكتبةُ الجمعيَّة الخيريَّة التي افتُتحتْ في عام ١٩١٣. وبعد القضاء على الجمعيَّة، تمّ نقل كتبها إلى بيت «البدر» تمهيداً لجعلها نواةً لمكتبة أخرى مستقلَّة.

٢ ـ أنّ الهدف من إنشاء المكتبات هو السعي إلى تهذيب العقول، وإنارة الأذهان، حسب قول الشيخ عبد العزيز الرشيد. فالتنوير هدفٌ حاضرٌ في أذهان المخطِّطين الأوائل لإنشائها. وقد ظلّ هذا الهدف يتخلَّل المجالس والأندية حتى تحقَّقت الأمنية.

٣ ـ أنّ فضلاء الكويت قاموا بالتبرُّع بالأموال اللازمة لإنشاء المكتبة وتوفير احتياجاتها، فضلاً عن تبرُّع الكثيرين بالكتب النفيسة التي كانوا يمتلكونها واشتراكهم بعدد من المجلات للمكتبة.

٤ ـ ارتقاءُ وعي المرأة الكويتيَّة في تلك الحقبة المبكرة، وإدراكُها ما للعلم والثقافة من أهميَّة، الأمر الذي جعلها موازية للرجل في العطاء السخيّ. فالسيدة شاهة الصقر هي التي تبرّعتْ للمكتبة الأهليَّة بدكان كانت المكتبةُ الأهليَّة في حاجة إليه لإقامة مقرِّها الجديد. وكانت الرائدة في مجال العطاء السيدة سبيكة الخالد، التي تبرّعتْ للمدرسة المباركيَّة ببيتٍ كانت تملكه.

٥ ـ لم تكن وظيفةُ المكتبة الأهليَّة تقليديَّة كما هي في المرحلة الحالية، بل كانت ملتقى للأدباء والعلماء الذين تدور بينهم حواراتٌ في الفقه والأدب والسياسة والشؤون الاجتماعيَّة. ولا يخفى ما لتلك الحوارات من أهميَّة، وبخاصة حين تكون بين الصفوة المثقفة والمستنيرة من رجالات البلاد.

ج ـ النادي الأدبيّ. كان إنشاءُ المكتبة الأهليَّة خطوةً مهَّدت السبيلَ إلى قبول المجتمع فكرةَ إنشاء نادٍ أدبيّ. يقول السيد رجب الرفاعي عن المكتبة الأهليَّة «إنَّ جماعة من الأدباء أحسوا بحاجتهم إلى مكان لائق، يستطيع فيه المفكِّرون أن يتداولوا في الشؤون الأدبيَّة والاجتماعيَّة، علماً أنّ فكرة إنشاء النادي في ذلك الحين كانت عملاً غير مرغوب من المجتمع[7]».

وإذن فقد كانت المكتبة الأهليَّة بديلاً مخفَّفاً للنادي من الوجهة الاجتماعيَّة، أو خطوةً ممهِّدةً قادت إلى قبوله. فبعد نجاح المكتبة في جمع شمل أهل الرأي للتشاور في الشؤون الاجتماعيَّة والأدبيَّة والفقهيَّة والسياسيَّة، تبددتْ ـ كما يبدو ـ الشكوكُ حول النوادي وجدواها، الأمر الذي جعل فكرة إنشاء نادٍ أدبيّ تنضج وتَبْرز إلى حيّز الوجود لتلبّي طموحاتٍ كانت تَكْبر وتتّسع لدى النخبة الواعية بصورة تتجاوز إمكانات المكتبة الأهليَّة، التي لم تكن تتّسع لإقامة المحاضرات العامّة على أقل تقدير.

---

١ ـ أنظرْ: **أعلام الكويت**، فرحان فهد الخالد، ص ٤٥.

٢ ـ أنظر: **تاريخ الكويت**، ص ٢٨٤.

٣ ـ أنظرْ: **أعلام الكويت**، فرحان فهد الخالد، ص ٤٤ ـ ٤٦.

٤ ـ **قصة التعليم في الكويت في نصف قرن**، ص ٥٧.

٥ ـ **من هنا بدأت الكويت**، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

٦ ـ د. نجاة عبد القادر الجاسم: **الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، دوره في الحياة الاجتماعيَّة والسياسيَّة**، ص ٣٧.

٧ ـ د. محمد حسن عبد اللّه: **الحركة الأدبيَّة والفكريَّة في الكويت**، ص ٣٤٩.

سيدتان تبرّعتا
ببيتَيْن لهما لإقامة المكتبة الأهليَّة عام ١٩٢٣

وكان أوّل مَنْ فكّر إنشاء «النادي الأدبيّ» الشاب الأديب خالد سليمان العدساني[١]. فهو يقول: «في سنة ١٣٤٢ هـ تمخضتْ هذه الموجاتُ الفكريّة والمعاهدُ الأدبيّة والعلميّة عن حركة نشطة، كان نتاجَها افتتاحُ النادي الأدبيُّ.. وقد أحدث هذا النادي الكبير في السنين الأولى من تأسيسه حركةً أدبيّةً ويقظةً ذهنيّةً لا بأس بها بين صفوف الشباب.. وانتسب إلى عضويّته ما يناهز المائة منهم. وأُلقيتْ فيه محاضراتٌ عمليّة وأدبيّة متنوّعة، كان لها دويُّها البعيدُ لا في أرجاء الكويت وحدها، بل في ما جاورها من إمارات الساحل العربيّ أيضاً»[٢].

وبافتتاح النادي الأدبيّ في عام ١٩٢٤ انفسح المجالُ أمام مثقفي البلاد وعلمائها وأدبائها لتحقيق الكثير من طموحاتهم في التوعية بأفكارهم المستنيرة والدعوة إلى الاهتمام بالعلم، ونبذِ الخرافة، ومحاربةِ التخلُّف والتزمُّت. وقد استقبل النادي الكثيرين من العلماء والمصلحين العرب، مثل الشيخ محمد الشنقيطي والشيخ عبد العزيز الثعالبي. وتبارى الشعراء في الترحيب بهم، واغتنموا مناسبات الترحيب بالضيوف لبثّ أفكارهم النيِّرة. وفي هذا الصدد يقول سليمان العدساني مخاطباً الشيخَ محمد الشنقيطي بمناسبة احتفال «النادي الأدبيّ» بقدومه:

يا شـــيـخ أنت رجـــاؤنا
في نهـــضـــة النشء الجـــديدْ
عـــصـــرَ الخـــرافـــة قـــوّضت
أركـــانه حـــتى أبيـــدْ[٣]

ويبدو أنّ النادي الأدبيّ هيّأ الأجواء لازدهار مواهب كثير من الشعراء، الذين حملوا مشعل الدعوة إلى النهوض، والأخذِ بأسباب العلم، ومواكبةِ التطوُّر. وفي مقدّمتهم الشاعر عبد اللّطيف النصف والشاعر حجي بن جاسم الحجي... ومن الجدير بالملاحظة أنّ معظم شعراء الكويت وقفوا بحزم ضد تيار التزمُّت والغلوِّ في فهم الدين. ونكتفي بالإشارة إلى شاهدَيْن لاثنَيْن منهم، هما الشاعر صقر الشبيب، وعبد اللّطيف النصف. يقول صقر الشبيب، الذي لم يتورَّع الغلاةُ عن إباحة دمه:

تُفرِّقنا الجـهـالةُ كـيف شـاءت
وتفـــعلُ مـــا تريد بنا البطاله
يُزندِقُ بعـضُنا بعـضـاً سـفـاهاً
مطيعين العمـائمَ في الضـلاله...[٤]

أما عبد اللّطيف النصف، وهو من شباب النادي الأدبيّ المستنيرين، فيشكو لصديقه الشاعر خالد الفرج ما تعانيه البلاد من أذى يتسبَّب فيه المتزمّتون:

يا لَلْكويتِ ومـا ألمّ بشـعـبـهـا
فلقـد رمـتـه فـأقـصـدته رمـاتُه
شـعبٌ يقـاد إلى البـوار ومـا درى
لهـفي، أيدري مَنْ غـشـاه سـبـاتُه؟
بُحّتْ حلوقُ المُصْلِحين ومـا وعى
نُصْـحـاً تردِّده عليـه ثقـاتُه
رقت العـوالم بالعلوم فـأسـفـرت
أوطانُهـا واحلولكتْ ظلمـاتُه
لعـبتْ به العِـمّـات أشنعَ لعـبـةٍ
فَـشَـقِي بهـا وشـقت به عـمّـاته[٥]

لعل هذَيْن الشاهدَيْن يكشفان عن جانب من القضايا التي كانت تَشْغل جيلَ العلماء والأدباء والمثقفين الذين وجدوا في «النادي الأدبيّ» التربةَ المناسبةَ لتفتُّح مواهبهم وازدهارها. كما وجدوا فيه المنبر الملائم لبثّ أفكارهم، وبسطِ همومهم، وبيانِ طموحاتهم، فضلاً عن تفاعلهم مع دعوات الإصلاح التي كان يحملها ضيوفُ النادي من المصْلحين العرب، الذين كانوا يُدْعون إلى إلقاء المحاضرات، وتوعيةِ المواطنين إلى أهميّة مواكبة ركب التطوُّر، ونبذِ الجهل والخرافة، وإعلاء شأن العلم. ولذلك فلا غرابة أن نرى النصوص التي كُتبتْ خلال تلك الحقبة تضجّ بالشكوى من التزمُّت والمتزمّتين، الذين يضعون العصيّ في عجلات تطوُّر المجتمع، والذين لم يتورَّعوا عن إباحة قتل ثلاثة من مصلحي الكويت هم: الشيخ عبد العزيز الرشيد، والشيخ يوسف بن عيسى القناعي، والشاعر صقر الشبيب، لأنّ هؤلاء المُصْلحين يُجيزون قراءةَ الصحف، ويَدْعون إلى نبذ الشقاق، ويتّصلون بالمُصْلحين العرب مثل السيد رشيد رضا صاحب **المنار**، والشيخ حافظ وهبة، وغيرهما. وقد حاول هؤلاء المتزمّتون اغتيالَ السيد رشيد رضا خلال زيارته للكويت.

وبعدُ، فقد كانت الجهود التي بذلها الروّادُ الأوائلُ من حملة مشعل الثقافة ذات أثرٍ كبير في تهيئة المناخ الملائم للتطوُّر الكبير الذي حقّقتْهُ الحركةُ الثقافيّةُ في المراحل اللاحقة □.

---

١ ـ **تاريخ الكويت**، ص ٢٩٥.

٢ ـ انظرْ: خالد سليمان العدساني: مذكّراته المخطوطة ص ٥، **سجل الكويت اليوم** ص ١٤ ـ ١٧. وانظرْ أيضاً: **أدباء الكويت في قرنين**، ٢٧١/١، ط ٣.

٣ ـ **تاريخ الكويت**، ص ٣٣٠.

٤ ـ المصدر السابق، ص ٢٩٩.

٥ ـ **أدباء الكويت في قرنين** ٢٥٦/١. وقوله: «شَقَتْ»، صوابُهُ: «شَقِيَتْ». ولعله حذف الياء بهدف إقامة الوزن.